وزارة التعليم العالي والبحث العلمي **المادة : المخطوطات العربية**

جامعة البصرة **المرحلة: الرابعة**

كلية الاداب **المحاضرة رقم (6)**

القسم: المعلومات والمكتبات

عنوان المحاضرة

ضياع التراث العربي المخطوط واسبابه

إعداد: م.لبنى قاسم محمد رؤوف الهاشمي

ان هذا التراث الفكري الواسع لم يسلم من عاديات الزمن. فقد تلف بعضه كما لم يكن ما دوّن منه يمثل كل نتاجهم.

ولعل الأسباب التي حالت دون تدوين هذا النتاج هي:

1- لم تكن الكتابة شائعة بشكل واسع في أيام الجاهلية وفي صدر الإسلام فلم تعط عناية لتدوين هذا الفكر الواسع فادى الى تعرضه للضياع والفقدان والنسيان اذ كان يُحفظ ويُنقل روايةً او مشافهةً.
2- اهتم العرب أيام صدر الإسلام بالقران الكريم ولم يلتفتوا لغيره من الموضوعات التي ظلت تعتمد على الحفظ والرواية فتعرضت للنسيان والفقدان.
3- بدأ التدوين متأخراً ولم يكن شاملاً اذ اعتمد على الاصطفاء والاختيار وكان هدفه خدمة أغراض الدين وتفسير القران فأدى هذا الاجراء الى اهمال الكثير من التراث وتعرضه للضياع.
4- لقد كان فهم العرب في جاهليتهم واسلامهم للكتاب فهماً دينياً ، والكتاب في القران هو التوراة والانجيل ، وهو ايضاً القران والذين نزلت عليهم هذه الكتب المقدسة هم اليهود والنصارى والمسلمون.

تعرض التراث العربي والإسلامي المتمثل بالكتب المخطوطة عبر تاريخه الطويل ومنذ بداية التدوين عند العرب وحتى عصرنا الحاضر ، للكثير من المحن والكوارث ، من سلب ونهب وحرق وتدمير وسرقة واتلاف ومحو وإغراق. ولم يصلنا منه الا جزء قليل. ويقدر الخبراء الموجود منه في مكتبات العالم بما يزيد عن العشر ولا يتجاوز الثمن.

ولعل نظرة واحدة الى مؤلفات احد علمائنا القدامى التي احصتها فهارس الكتب القديمة مثل **الفهرست لابن النديم** او **كشف الظنون لحاجي خليفة** ، توضح لنا ما ألفه ذلك العالم من عشرات الكتب وبعضهم المئات. وعند بحثنا عنها في المكتبات الحالية لا نجد سوى كتاب او كتابين او بضعة كتب ، واحياناً لا نجد شيئاً من هذه المؤلفات ، فمثلاً يقال ان **ابن حزم الاندلسي** (ت456 هـ - 1063 م) ألّف حوالي (400) كتاب ولكن لم يصلنا منها اليوم سوى (30) كتاباً. اما **محي الدين بن عربي** (ت638 هـ - 1240م) فقد ألّف اكثر من (200) مصنف ، والموجود الان (39) بين كتاب ورسالة.

<u>ان اكبر واضخم النكبات التي اصابت التراث العربي الإسلامي المخطوط تتمثل فيما يأتي:</u>

1- اجتياح **المغول التتر** للبلدان الإسلامية وهجوم **هولاكو** على بغداد (656هـ- 1258م) وقد دمرت المكتبات اثناء هذا الهجوم وأُتلفت محتوياتها فذهب بعضها طعمه للنيران والغرق. ويقول بعض المؤرخين ان هولاكو امر ان تبنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول وطاولات المعالف عوضاً عن اللبن. وقيل ان ماء دجلة تغير لونه لكثرة ما القي فيه من الكتب والأوراق ، كما قيل انه اقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة.
2- اجتياح **تيمورلنك** لبغداد ودمشق وحلب وحماه عام (803هـ - 1400م) مما أدى الى تدمير وحرق عدد كبير من الكتب العربية.
3- **الحروب الصليبية** التي استمرت قرنين (1096هـ - 1291م) دمرت هذه الحروب قسماً كبيراً من العالم الإسلامي ، ومن جملة ما دُمر من الكتب والمكتبات. ولعل اوضح مثال ما فعله الصليبيون عند استيلائهم على مدينة طرابلس عام (503 هـ - 1110م) وقاموا باحراقها وصارت رماداً.
4- **خروج العرب من الاندلس وسيطرة الاسبان** عليها وإحراقهم الالاف من الكتب العربية ، بعد سقوط غرناطة اذ جمعوا الكتب في ساحاتها أكداساً وأُحرقت ومنيت بلاد الاندلس بأفظع نكبة إتسمت بالحقد العقائدي والابادة للبشر والثقافة. ويقال ان عدد المخطوطات العربية التي ابيدت في تلك الفاجعة نحو ثمانين الفاً.
5- **الفتن الداخلية والعصبيات** ذهبت المخطوطات ضحية لهذه العصبيات والجهل والفتن السياسية والحروب الداخلية والمنازعات المذهبية ومواقف بعض الحكام من مؤلفات خصومهم والذين لا يتفقون معهم بالرأي ، ومن أمثال ذلك ما حل بمؤلفات بعض العلماء والفلاسفة العرب ، ومنهم **ابن حزم** ، **وابن رشد** ، و**الغزالي** ، **وأبو حيان التوحيدي** وغيرهم.
6- عدم العناية والإهمال وتعرض الكتب الى الافات الطبيعية والتلف وإصابة المخطوطات بالارضة والحشرات وتعرضها للفئران والرطوبة والحرارة والغبار.
7- تعرضت المخطوطات الى الكوارث الطبيعية مثل الحرائق والفيضانات. وهي اكثر من ان تحصى فقد ملأت صفحات كثيرة في كتاب **فيليب طرازي (خزائن الكتب العربية في الخافقين)** في اجزائه الثلاثة.
8- لقد تبنى الاستعمار قضية نهب تراثنا المخطوط منذ ان وطئت ارجلهم ارضنا العربية للمرة الأولى مستغلين خيانة بعض الحكام آنذاك وبعض ضعاف النفوس.
9- وخلال المدة الطويلة لاحتلال الاتراك العثمانيين للاقطار العربية والإسلامية التي استمرت نحو أربعة قرون ، حرص سلاطينهم وسائر رجال دولتهم الاستيلاء على الكنوز والذخائر الثمينة لتلك الدول والاقطار وحملوها الى مركز الخلافة واودعوها المساجد والقصور والمدارس والمعاهد عندهم ، فأجتمع منها كل نفيس ونادر من تلك المخطوطات.
10- ان الكارثة الحقيقية التي اصابت تراثنا العربي الإسلامي خلال القرون الأربعة الأخيرة تمثلت في تسريبه ونقله من مواطنه الاصلية ومن أصحابه الشرعيين الى الايدي الأجنبية في أوروبا وامريكا.

وهناك العديد من الطرق والوسائل التى استخدمت فى تغريب كنوزنا الفكرية ، ويمكن تلخيص هذه الطرائق والوسائل كالاتى :

1- الغزو الاستعماري للاقطار العربية والإسلامية ، والاستيلاء بالقوة ومصادرة الكتب المخطوطة بالاكراه.
2- إستيلاء بعض سفن القراصنة على ممتلكات العرب اثناء نقلها بحراً من مكان الى اخر.
3- قيام العديد من الرحّالة والمستشرقين بالتطواف في الأقطار العربية والإسلامية للحصول على المخطوطات والاثار وتهريبها الى بلدانهم.
4- سعي القناصل والدبلوماسيين الغربيين اثناء تواجدهم في الأقطار العربية والإسلامية لجمع المخطوطات والاثار وايصالها الى البلاد الغربية.
5- قيام بعض الجهلة من العرب من المتولين على خزائن الكتب والقيمين عليها ، بسرقة المخطوطات وبيعها لقاء المال القليل بتشجيع من بعض التجار والمستشرقين.
6- ظهور بعض الهواة لجمع الاثار والمخطوطات بواسطة وكلائهم داخل الوطن العربي وخارجه.
7- إهداء المخطوطات من قبل بعض الحكام والافراد ورجال الدين الى المكتبات الأجنبية في أوروبا وامريكا.
8- سعى بعض الرهبان والمبشّرين للتطواف في الأقطار العربية لجمع المخطوطات وإيداعها المكتبات الغربية.
9- تخصيص بعض التجار السماسرة في تتبع نوادر ونفائس المخطوطات وإغراء أصحاب المكتبات الخاصة في الأقطار العربية لبيعها ثم نقلها الى الغرب.
10- قيام بعض العرب بنقل خزائن مخطوطاتهم الى الأقطار الأجنبي وعرضها للبيع هناك طمعاً بالمال.